ظاهرة التفاوت الحضاري بين الشمال والجنوب
رؤية جغرافية

أ.د. منذر عبد المجيد البدري
كلية الآداب – جامعة بغداد

لاحظ بعض المفكرين أن جميع البلدان المتقدمة، وهي التي عرفت الثورة الزراعية والصناعية، خلال القرنين الماضيين، تقع في المناطق المعتدلة الباردة، بينما تقع جميع البلدان المتخلفة في الوقت الحاضر في مناطق مدارية وشبه مدارية تقريباً. وتتوافق خريطة البلدان المتقدمة وخريطة المناطق المعتدلة توافقاً يكاد يكون تاماً. ولما كان موقع البلدان المتخلفة تقع إلى الجنوب منها فقد استنتجوا بأن الشمال هو المتقدم حضارياً دائماً وان الجنوب هو المتخلف حضارياً. وقد حاول بعضهم أن ينقل ظاهرة التفاوت الحضاري (الحضارة المادية) إلى داخل البلدان ذاتها إذ ذكروا بأن شمالها أكثر تقدماً من جنوبها دائماً واختاروا برأيهم هذا بلداناً تتمثل فيها هذه الحقيقة كإيطاليا وفرنسا.

أما البلدان المتقدمة التي تقع في جنوب العالم كأستراليا ونيوزلندا وجنوب أفريقيا، فهي من صنع حضارة الشمال وسكانه الذين استوطنوا في مناطق معتدلة تقع جنوب الكرة الأرضية ومشابهة لمواطنهم في الشمال.

والذي يلاحظ أن العودة الحديثة، وبصورة مركزة لإستخدام مصطلح (الشمال والجنوب) واعتماده بشكل واسع، منذ منتصف ستينيات القرن العشرين، تكمن في طبيعة المصطلح التي تبدو ((محايدة)) ولا تنطوي على حكم مسبق. بعكس المصطلحات التي كانت مستخدمة التي أثير حولها جدل كثير ورفضتها البلدان النامية ومن هذه المصطلحات :

العالم المتطور	Developed	والعالم المتخلف	Underdeveloped
العالم الأول	First world	والعالم الثالث	Third world
العالم المتحضر	Civilized	والعالم البدائي	Primitive

إذ كانت هذه المصطلحات، لغة تنطوي على حكم مسبق سلبي على العالم النامي، بعكس (الشمال والجنوب) فهو مصطلح محايد.

نشأ التفاوت الحضاري بين دول الشمال والجنوب نتيجة للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي حصلت في غرب أوربا ما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر التي أدت إلى ظهور الرأسمالية المعاصرة التي أدت إلى تغيير العالم جذرياً [١] ، ومن ثم إلى ظهور ظاهرة التفاوت الحضاري العالمي حينما استكملت عملية التغيير الذي رافق الثورة الصناعية، ويحدد مستر بِـثن تأريخ هذا التفاوت بقرنين تقريباً.[٢]

الفصل الأول

الوصف الجغرافي لظاهرة التفاوت الحضاري

الجنوب فكرة حضارية تنطوي ضمناً على مدلول جنسي (عرقي) إلى جانب بعد جغرافي معين.[٣] ويمتد الجنوب المتخلف على ما يعادل ثلثي مساحة القارات وإذا كان الشمال المتقدم ينحصر في النطاق المعتدل، فأن بلدان الجنوب تمتد من خط الاستواء حتى العروض العليا في الصين (وما وراء خط عرض ٥٠ شمالاً) من ناحية وحتى عروض تشيلي الجنوبية (ما وراء خط عرض ٥٠ جنوباً) من ناحية أخرى وهكذا يغطي الجنوب ما بين المدارين، ويتقدم إلى حد كبير في النطاق المعتدل.[٤]

أما البلدان التي يضمها الجنوب فيحددها أغلب المختصين بالوجه الآتي:(٥)

الجنوب = بلدان آسيا (عدا اليابان ودول الاتحاد السوفيتي السابق) +
بلدان أفريقيا (عدا جنوب أفريقيا) +
بلدان أمريكا اللاتينية.

وعلى ذلك يمكن تحديد الشمال بالوجه الآتي :-

الشمال = دول الإتحاد السوفيتي السابق وأوربا والولايات المتحدة وكندا واليابان وأستراليا وجنوب أفريقيا.

أما عن مستويات التقدم الحضاري فأن هناك تباين إقليمي ومحلي في هذه المستويات، كما إن هناك مستويات متباينة للتخلف والتقدم سواء في مناطق الشمال أو الجنوب.

أولاً - التباين الحضاري في دول الشمال:

في مناطق الشمال قد نجد مناطق متخلفة أو دون مستوى التقدم العام للشمال.. ويمكن ملاحظة ذلك على المستويات الآتية :-

أ. <u>المستوى الإقليمي</u>:

تصنف البلدان المتقدمة الرأسمالية المنتمية إلى (منطقة النمو والتعاون الإقتصادي OSED) وعددها (٢٢) بلداً إلى المجموعات الآتية.(٦)

١. البلدان الصناعية الرأسمالية السبعة الكبرى التي يغطي إنتاجها (٩٠%) من مجموع دخل (العالم الحر) وتضم الولايات المتحدة وكندا واليابان وألمانيا الإتحادية وبريطانيا وفرنسا وأيطاليا.

٢. البلدان الصناعية الرأسمالية الصغيرة التي تنتج (٧,٣%) من مجموع دخل (العالم الحر) وتضم بلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ والدانمارك والنرويج وفنلندا والنمسا وسويسرا وأيرلندا وأيسلندا.

٣. البلدان الرأسمالية الصغيرة في طريق التقدم وهي أسبانيا والبرتغال واليونان وتركيا وتنتج (٢,٧%) فقط من إنتاج العالم الحر، ومستوى الدخل فيها أخفض بكثير من بلدان المجموعتين السابقتين.

ومثل هذا التفاوت في مستويات التقدم الحضاري كنا نجده بين بلدان الاشتراكية السابقة المتقدمة التي كانت منتمية إلى منظمة مجلس التعاضد الاقتصادي (الكوميكون) التي تصنف حسب مستوى تطورها إلى المجموعات الآتية، ابتداء من البلدان الأكثر تقدماً.[٧]

(١) الإتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا الديمقراطية.

(٢) بولونيا والمجر (هنكاريا).

(٣) بلغاريا ورومانيا.

(٤) منغوليا وسابقاً ألبانيا.

ب. <u>المستوى المحلي أو القطري</u>:

قد نجد هناك مناطق متخلفة أو دون مستوى التقدم الحضاري في المنطقة أو الدولة المتقدمة، ففي أوربا مثلاً نجد أطرافها الشمالية تعوقها الأحوال المناخية، كما أن في جنوب أوربا تنخفض غلة الأرض الزراعية عن مثيلاتها في أجزاء غرب ووسط أوربا.[٨] ويتميز جنوب إيطاليا عن بقية أنحاء البلد بتخلفه[٢] فالشمال صناعي غني متقدم والجنوب زراعي فقير متخلف، إقطاعي وشبه إقطاعي وينزلق أحياناً إلى البطالة وتقاليد الأخذ بالثأر والجريمة، حتى تصل أقصاها في الجنوب في صقلية.[٩]

أما في بريطانيا فقد ظل شمال شرق إنكلترا ووسط سكوتلاند يعاني من البطالة والركود الاقتصادي وانخفاض رأس المال الاجتماعي في الصناعة بسبب انخفاض نسبة المتعلمين بعد الدراسة الابتدائية وانخفاض الدخل الفردي...الخ.[١٠]

وفي فرنسا إذا كان الفرانك من باريس وحوضها هم الذين فرضوا وحدة فرنسا السياسية وأخضعوها لسيادة موحدة وجعلوا أنفسهم أرستقراطية المجتمع فأن حضارة فرنسا هي إلى حد كبير من صنع الجنوب المتوسطي بتراثه اللاتيني، وهكذا السيادة للشمال والحضارة للجنوب.(١١)

وفي الإتحاد السوفيتي ما زالت بعض أرجائه متخلفة كما هو الحال في القسم الشمالي من إقليمي سيبريا الشرقية والشرق الأقصى لصعوبة اتصاله بالأرجاء الأخرى من الأقاليم ، لعدم توافر طرق نقل مباشرة غير يضطر السكان إذا أرادوا الاتصال بالقسم الجنوبي من الإقليم عليهم الانتقال عن طريق المحيط الهادي لذلك فهم يعبرون عن ذلك بقولنا (جئنا من القارة.. أو عدنا من القارة).

وما زال تجمد المياه كأنهار سيبريا ومياه بحر البلطيق في أقصى الشمال يعدّ من المعوقات لنشاط الإنسان ونتيجة لذلك تضطر السويد مد يدها عبر النرويج الى نارفك بالسكك الحديد شتاءً.(١٢)

وفي نطاق الشمال (المتقدم) ما زال التقدم التكنولوجي عاجزاً عن قيامه بزراعة مناطق واسعة بسبب مدة الإنجماد الطويلة ومن هذه المناطق وسط وشمال كندا وأجزاء واسعة من سيبريا وشمال أوربا وكرينلاند كما قد تتأثر مناطق الزراعة القريبة من تلك المناطق بالصقيع الذي يسبب موت الحيوان والنبات، وكثيراً ما تصاب مزارع القمح والشوفان في كل من أوربا وكندا وآسيا بالضرر عندما يحدث الصقيع في مدة الأزهار أو في مدة تكون السنابل طرية، كما يتأثر بهذه الظاهرة الحدود الشمالية لزراعة الذرة في أمريكا، كما يتوقف سكان شمال السويد والنرويج وسيبريا عن ممارسة عمليات قطع الأخشاب من الغابات الصنوبرية في الشتاء.(١٣)

وما زال القسم الأكبر من سكان هذه المناطق يعيشون عيشة بدائية ويتركز إنتاج هؤلاء في توفير المأكل والملبس وممارسة بعض الصيد التجاري لحيوانات الفراء، ومن هؤلاء الإسكيمو والهنود الحمر في كندا والولايات

المتحدة واللاب في اسكندنافيا الشمالية، وسكان جنوب جزيرة كينلاند، وفي الإتحاد السوفيتي نجد بعض القبائل السايبريه مثل اليافوت والجكجكي والساموييد والتانجوس والكوريات.(١٤) وكان بعض هؤلاء يعيش في شمال شرق روسيا الأوربية وعندما تعرضت مناطقهم للهجرة الروسية الحديثة فقدوا كثيراً من أراضيهم وأرتدوا إلى سيبريا(١٥).

وتتباين مستويات التقدم في الولايات المتحدة وكندا أيضاً، ففي أقاليم الغرب الأوسط (Middle West) الواقع وراء نهر (أوهايو) في نفس الأقاليم المناخي لشمال شرق الولايات المتحدة، هذا الأقليم كان بعيداً عن الإتصالات الخارجية، فظل أمداً طويلاً يتميز بالميل إلى العزلة ومع ذلك فهو الآن من الناحية الحضارية كما هو من الناحية الجغرافية في مركز متوسط، أما أقاليم سنت لورنس والبحيرات العظمى على جانبي الحدود بين كندا والولايات المتحدة فقد ظل هذا الإقليم أقل إنتاجاً وأقل سكاناً من الأقاليم الواقعة إلى جنوبه، ومع ذلك فأبان الحرب العالمية الثانية حقق القسم الكندي تقدماً كبيراً في أعمال التعدين واستغلال القوى المائية والتنمية الصناعية ولقد عانى أقليم السهول الوسطى والبراري من الكوارث بسبب تعاقب مدد الجفاف منذ الربع الثاني لهذا القرن فهرب الفلاحون الذين أصابهم الدمار، أما بعودتهم إلى الشرق أو تابعوا طريقهم نحو الغرب ولكن محاولاتهم الخالية من الخبرة تركت أثاراً من تآكل التربة الذي أصبح عائقاً للاستغلال فيما بعد، وقد جعلت التقلبات المناخية في إقليم البراري الزراعة ضرباً من المقامرة ومستوى المعيشة بين الارتفاع والهبوط والحياة مسرحاً للقلق.(١٦)

وصحراء نيفادا كانت منطقة متخلفة ولم تستطع الولايات المتحدة تطويرها إلا بإجازة الممنوعات والمحرمات كالقمار والمخدرات والطلاق والإباحية، لذلك أصبحت مدينة لاس فيجاس مدينة متطورة تضم الفنادق السياحية وأماكن اللهو ولعب القمار، وتطورت الاتصالات ونشطت الحركة إلى

هذه الصحراء التي تحولت إلى منطقة سياحية وتدفقت رؤوس الأموال عليها للاستثمار.

ثانياً – التباين الحضاري في بلدان الجنوب :

تخلف المستويات الحضارية في بلدان الجنوب المتخلف، تبعاً لذلك فقد سبق أن صنفها إيف لاكوست إلى المجموعات التالية:-(١٧)

١. بلدان شديدة التخلف ذات دخل فردي منخفض قد لا يتجاوز الـ (١٠٠) دولار سنوياً ونموها السكاني ضعيف فهو دون (١,٨%) سنوياً وتفتقر هذه البلدان إلى الاقتصاد الحديث ويلاحظ فيها ضعف استهلاك الطاقة والقيم التجارية ضئيلة جداً، ونسبة الأميين عالية وكذلك نسبة العاملين في الزراعة، ومن هذه المجموعة أفريقيا المدارية.

٢. بلدان متخلفة دخلها الفردي منخفض أيضاً ولكن نموها السكاني يزيد على (١,٨%) سنوياً وهذا ناتج من التحسن في الوضع الصحي، ونقص الوفيات ومن هذه البلدان نيجيريا والكونغو وتايلاند... الخ.

٣. بلدان متوسطة في مستوى تخلفها ذات دخل متوسط ونمو سكاني يزيد على (١,٨%) سنوياً ويشغل قطاع الاقتصاد الحديث في هذه الأقطار مكانة أكثر أهمية من سابقتها.

٤. بلدان على عتبة التقدم، دخلها قد أرتفع في السنوات الأخيرة ونموها السكاني يتراوح بين (٢-٤%) وقطاع الاقتصاد الحديث فيها مهمّ نسبياً والتجارة الخارجية نشطة في أغلب الحالات ويستحوذ قطاع الخدمات على القسم الأكبر من الدخل القومي، وتشمل غالبية بلدان أمريكا اللاتينية والبلدان النفطية بشكل رئيسي وجنوب شرقي آسيا.

وعلى ذلك فأن بين المجموعة الأخيرة بلداناً قطعت شوطاً كبيراً في التقدم الاقتصادي والتكنولوجي فالبلدان التي تتقدم بدعم من العالم الرأسمالي المتقدم يمكن تمييزها بالمجموعات الآتية :-[١٨]

(أ) مجموعة البلدان متوسطة الدخل في الشرق الأقصى ولاسيما كوريا الجنوبية وتايوان وهونك كونك، التي تعتمد على الاستثمار الأجنبي في إقامة قاعدة للصناعات التصديرية وهي أما صناعات تقليدية (كالمنسوجات) أو صناعات تجميعية (تجميع مكونات إلكترونية أساساً) وجميعاً تعتمد على كثافة العمل (Labour Intensity) للإستفادة من ميزة الإنخفاض النسبي لتكلفة العمل (أي العمل الرخيص) ، أما القطاعات التي لا يسودها الإستثمار الأجنبي فيتوجه ناتجها إلى السوق المحلية.

(ب) الدول الكبيرة المتوسطة الدخل في أمريكا اللاتينية ولاسيما المكسيك والبرازيل والأرجنتين، وصيغة العمل فيها إقامة مجموعة من الصناعات كثيفة الاستخدام للموارد الطبيعية غير النفطية فضلاً عن توافر عنصر العمل وتكون موجهة للسوق المحلية أساساً ثم للتصدير.

(ج) مجموعة البلدان النفطية الخفيفة السكان (أقطار الخليج العربي) أقيم فيها عدد من الصناعات المعتمدة على النفط الخام كمادة أولية (البتروكيمياويات).

فضلاً عن هذه المجاميع من البلدان هناك مجموعة البلدان التي تتطور بخبرة من مصادر متنوعة بما فيها تنمية خبراتها الذاتية ومن هذه البلدان الصين التي قطعت أشواطاً كبيرة في مجال التقدم الحضاري والهند وباكستان ومصر والعراق والجزائر ... الخ.

أما عن ظاهرة التفاوت في مستويات التقدم بين شمال البلاد وجنوبها في عالم الجنوب النامي، فتأخذ مظاهر مختلفة فبعض البلدان يكون شمالها هو الأكثر تقدماً ومن هذه البلدان الهند ومصر والجزائر، في حين تنعكس الحالة في

بلدان أخرى كالصين مثلاً إذ يلاحظ ان أجزاءها الشمالية ما زالت متخلفة، فالشمال قليل المطر غير كاف أحياناً ومتفاوت دائماً ويعدّ فصل الإنبات قصيراً لطول فصل الصقيع (٤-٦ شهور) وعلى الرغم من أن الأرض سهلية ومتوافرة جداً بالقياس إلى الجنوب أو الفيضانات الخطيرة هنا تحدث بكثرة على الرغم من قلة المطر، ولذا كان الشمال الموطن الحقيقي للمجاعات الصينية المأثورة.(١٩) وفي البرازيل كذلك نجد المناطق الأكثر تقدماً تقع في جنوبها الشرقي بينما يغطي التخلف شمال البلاد ولاسيما حوض الأمزون وإقليم الحشائش الطويلة.

وخلاصة ما سبق إن ظاهرة الشمال المتقدم حضارياً يمكن ملاحظتها على عموم الكرة الأرضية فغالب البلدان المتقدمة تقع في ضمن نطاق شمالي، وإن كانت أطرافها الشمالية القصوى دون مستوى تقدمها العام أو تضم مناطق متخلفة ولاسيما المناطق القطبية وقسم من المناطق الباردة فضلاً عن وجود بعض الامتدادات للنطاق الشمالي المتقدم في الجنوب وهي في الغالب الكيانات العنصرية في جنوب أفريقيا سابقاً وأستراليا ونيوزلندا وفلسطين المحتلة.

وعلى النطاق الإقليمي والمحلي نجد هناك مناطق متخلفة أو دون المستوى العام للتقدم في أماكن كثيرة من نطاق الشمال، كما أن هناك تبايناً في مستوى التقدم بين بلدان الشمال نفسها فهناك بلدان وصلت قمة التقدم الحضاري العالمي وهناك بلدان دخلت عتبة التقدم حديثاً.

أما في نطاق الجنوب فهناك أيضاً مستويات حضارية مختلفة وهناك مناطق قطعت شوطاً كبيراً في تقدمها كما أن هناك مناطق متخلفة أو شديدة التخلف.. أما كون الشمال دائماً هو المتقدم حضارياً في أية منطقة في العالم فتلك فرضية لم يثبت صحتها لأن التقدم لا يلزم الشمال دائماً وإنما قد تكون المناطق الجنوبية أو الوسطى هي المتقدمة كما قد يكون الشمال هو المتخلف، تبعاً لإمكانات استغلال كل منطقة استغلالاً اقتصادياً .

الفصل الثاني

الأبعاد الجغرافية للتفاوت الحضاري

لاحظ بعض المفكرين والباحثين أن جميع البلدان التي عرفت الثورة الزراعية والصناعية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تقع في المناطق المعتدلة والباردة، بينما ما يقارب جميع البلدان المتخلفة في أيامنا يقع في مناطق مدارية وشبه مدارية وتتوافق خريطة البلدان المتقدمة وخريطة المناطق المعتدلة توافقاً يكاد يكون كاملاً، وأن هذا التوزيع قائم لا على مستوى القارات الكبيرة فحسب. ولكن أيضاً في أنحاء هذه القارات، فالمناطق الأقل تنمية في أوربا نفسها تقع في الجنوب وأن المناطق الأكثر اعتدالاً في أمريكا اللاتينية (الأرجنتين والأرغواي وتشيلي) هي أيضاً أكثر تنمية وأن فاصلاً جغرافياً بهذا الوضوح وبهذا التعيين لا يمكن أن يكون ثمرة الصدفة وحدها.(٢٠)

كما أوعز هؤلاء المفكرين تخلف إنسان المناطق الحارة وكسله وخمول ذهنه إلى المناخ الحار الرطب، حتى أن الكثير منهم – القدامى والمعاصرين، يرى أن من طبائع البشر انعكاساً لمؤثرات عناصر البيئة الطبيعية ولقد راجت هذه الفكرة بين المفكرين القدامى مثل أبقراط وأرسطو وابن خلدون، لأن العلم لم يكن قد توصل إلى ما يدحضها، أما المعاصرون فأنهم يؤيدوا الفكرة تعصباً واستعلاءً.(٢١)

ولقد كانت تلك الأفكار من الأخطاء التي ارتكبتها الجغرافية الناشئة في القرن التاسع عشر، أي الجغرافية التي كانت لا تزال متأثرة بمفهوم الحتمية الشديد الضيق هذه الأفكار ثبت خطأها الآن، كما أصبح المدلول الإنساني المعقد نسبياً تجاه الحقائق الطبيعية اليوم مقيماً بطريقة أكثر عدالة بكثير، وتبدو تمازجات الظواهر التي نواجهها اليوم بالفعل أكثر اتساعاً ورحابة بكثير، وربما

ينشأ في بيئات طبيعية متماثلة أناس شديدو التباين، وذلك حينما يعيش هؤلاء في أوضاع اقتصادية واجتماعية شديدة الاختلاف ، وعلى نقيض ذلك قد نجد أن الأوضاع الطبيعية الشديدة التمايز قد لا تؤدي إلا لنتائج ضئيلة الاختلاف فيما بينها وذلك لمجتمعات إنسانية تعيش في أوضاع اقتصادية واجتماعية متكافئة. ونلاحظ على سبيل المثال إن إمكانية التربة في النطاق المداري ومثيلتها في النطاق المعتدل متفاوتتان، فالترب المدارية على الأغلب أكثر فقراً وأسرع عطباً من الترب الأخرى، غير أن تأثير عوامل أخرى، كالعوامل الاقتصادية بشكل خاص، يحول أحياناً دون هذه الإمكانية أن تبرز للعيان، ذلك لأن البلدان المتخلفة في النطاق المعتدل تتعرض بدورها لمصاعب زراعية جسيمة. فزارعو هذه المنطقة الذين يتصرفون نظرياً بإمكانية طبيعية أكثر غنى نجدهم عاجزين عن القيام باستغلال كامل ومن ثم فان إنتاجيتهم لا تفوق كثيراً إنتاجية الفلاحين فوق الأراضي المحروقة في الغابة الاستوائية.(٢٢)

وقد حاول بيروك تفسير ظاهرة التوافق بين المناخ المعتدل-البارد والتقدم، وبين المناخ المداري والتخلف، فأرجعها إلى جملة أسباب هي:-(٢٣)

١. النتائج السلبية للمناخ المداري التي تقلل خصوبة التربة وتؤثر في الظروف العامة غير الصحية وغير المواتية للإنسان، ولتكثيف نشاطه، ولا يعني ذلك على الإطلاق حتمية جغرافية ضيقة، غير أن رفض حتمية ما غير معقول، فمن المؤكد أن التربة المعرضة منذ زمن طويل لنشاط الحرارة والماء، تربة جد فقيرة، ومن المؤكد أيضاً أن تسود في هذه المناطق بشكل مستمر أمراض أكثر بكثير مما في المناطق المعتدلة تبطئ نشاط الإنسان، كما أن الجهد الجسدي يصبح أصعب فيزيولوجياً ونفسياً فوق درجة ما من الحرارة، أن كل هذه العوامل ليست مواتية لزيادة كميات العمل التي تفترضها في البداية تقنيات الثورة الزراعية الجديدة، وفي مجمل القول بما أن الأمر كان يعني تسريع عمل الطبيعة بجهد إضافي، إذن لابد إن إختلاف المناخ قد شكل

عاملاً محدداً هاماً، بسبب بعض خصائصه السلبيه ولكن هـذا الإخـتلاف المناخي قد لعب أيضاً دوراً أهم بسبب إخـتلاف نمـاذج الزراعـة، الـذي تتضمنه مثل هذه الفوارق في المناخ.

٢. أن الثورة الزراعية قد حدثت في مناطق معتدلة فمن الطبيعي أنها أدت إلـى تحسين مردود الإنتاجية لأنموذج زراعي خاص بهذا النوع من المنـاخ وأن أنواع الزراعة الجديدة، ونماذج البذور المحسنة والنتائج المبتغاة من انتقاء الفصائل الحيوانية... الخ، كلها كانت مناسبة للمناخ المعتدل ومـن ثـم إن نقلها التلقائي لمناطق تتمتع بمناخ مختلف جداً كان يسبب مشـاكل بالغـة الصعوبة فكانت الإشكالية مختلفة تماماً في أوضاع النقل من إقليم إلى أخـر داخل منطقة ذات ظروف مناخية مجاورة، وأن توافر نوع من القمـح لـه مردود أعلى يقاوم بشكل أفضل صقيع الربيع، ليس له مفعـول هـام فـي إقتصاد يرتكز على الرز، وفي مناخ لا يعرف الحرارة المنخفضة لذلك مـن الطبيعي جداً ان لا يتحقق إنتشاره في هذا الإقتصـ ، كمـا أن الحيوانـات المحسنة لا تستطيع التأقلم إلا بصعوبة كبيرة في المناخ المداري ومختصـر القول إن الإبتكارات الجديدة في زراعة المناطق المعتدلة، ومن أجلها، لـم تكن إلا ذات فائدة ضئيلة في المناطق المدارية أو شبه المدارية، وما كانـت تستطيع على كل حال أن تنتشر فيها بسرعة أو تلقائية.

٣. أن الثورة الزراعية حدثت في بلدان قليلة السكان لذا فأن التقنية تلائم نـوع الزراعة في تلك البلدان ولا تلائم الزراعة في المناطق الكثيفة السكان فـي عالم الجنوب، ولاسيما في آسيا لأن التقنية تكون غير مربحـة فـي هـذه البلدان.

ونخلص مما سبق بأن الثورة الزراعية حـدثت فـي منـاطق معتدلـة وبتقنيات مناسبة لمناخ هذه المناطق، ولكن إلى جانب هذه المعوقـات الطبيعيـة أنظمت معوقات أخرى نتجت عن انتشار الاستعمار الغربي.

أما الكسل والخمول الذي يصيب سكان المناطق الحارة فله أسباب أخرى غير المناخ أهمها نوع الغذاء الذي يتناولون وقناعتهم بما يملكون نتيجة للجهل وانعزالهم عن مراكز الحضارات في العالم بسبب صعوبة النقل والمواصلات وغيرها من السباب التي لا تمت إلى ارتفاع الحرارة بشيء، ولقد أخذ الإنسان يغير أسلوب حياته نحو الأفضل بعد احتكاكه بالعالم الخارجي الذي يزداد يوم بعد يوم، وكثيراً ما عانى الأوربيون أنفسهم من قساوة المناخ الحار الرطب في غرب أفريقيا حتى سموها (مقبرة الرجل الأبيض) لتكاثر الحشرات والفطريات والبكتريا.(٢٤)

إن المرء عندما يستعرض الأقاليم الحضارية الكبرى في العالم يرى تناقضات كبرى ويتساءل عن عوامل الاختلافات بين الشعوب المختلفة، وربما كان المناخ أحد هذه العوامل ويمكن إدراك أثره في ناحيتين مختلفتين، الأولى إن للمناخ اثراً معوقاً يمكن ملاحظته في كل الأقاليم الاستوائية الحارة وفي أطراف المناطق القطبية الباردة، والناحية الثانية الأثر الفعال في الأقاليم المناخية التي تعيش فيها شعوب أوربا والجزء الشمالي من الشرق الأقصى وكثير من أنحاء أمريكا الناطقة بالإنكليزية والأقاليم المعتدلة في نصف الكرة الجنوبي التي هاجر ليها المستوطنون البيض، ومع ذلك لا يوجد تطابق بسيط بين الأقاليم المناخية الكبرى في العالم وبين الأقاليم الحضارية الكبرى وان العوامل الجغرافية أشد تعقيداً ، فلقد قامت الظروف الطبيعية بدور كبير في الأقاليم التي نشأت فيها الحضارة قديماً، ولاسيما في وديان الرافدين والنيل والسند وسهول الصين، إذ سمحت مواردها الطبيعية للسكان بالتقدم وشجعتهم عليه، وان لم تحتم هذا التقدم بالضرورة ومن هذه المراكز انتشرت نماذج الحضارة المختلفة إلى الخارج وقد ساعدت الظروف الطبيعية أو عاقت التحركات البشرية كالسهول وطرق الوديان بالمقارنة بالحواجز الجبلية وانفصال المناطق اليابسة بالبحار الضيقة أو المحيطات الواسعة ونوع النباتات الطبيعية او انعدامها، وحيثما وجدت الظروف

المواتية ظهرت مراكز التقدم الثاوية، وكانت من اعظم المناطق أهمية جزر البحر المتوسط وشواطئه ثم أواسط أوربا فيما بعد.

وكانت العوامل التي تقرر طبيعة التقدم في جميع الأقاليم هي أولاً خصائص الشعوب وما وصلت إليه فعلاً من ألوان الثقافة والعلوم وثانياً الأوضاع الطبيعية وموارد البيئات الجديدة، وخلاصة القول أنه على الرغم من وجود علاقات بين الأقاليم الحضارية الكبرى، ولكل منها مميزاته الخاصة- فأنها لا تقع في مجموعات نوعية كما هو الحال في الأقاليم المناخية، لذلك فأن الأقاليم الحضارية ذات نموذج عالمي يختلف عن نموذج الأقاليم الطبيعية.(٢٥)

وفي ضوء ما تقدم نجد الحضارة تنشأ أو تزدهر حيثما تتوفر مقوماتها بشكل كاف. فلقد نشأت حضارات حتى في المناطق الحارة، ففي أفريقيا بنى إنسان المناطق الحارة حضارات، وأسس ممالك لها من القوة والتنظيم ما يدل على فكر ونشاط ملحوظين، مثل حضارة (كوشى) التي ظهرت في شمال الخرطوم قبل أربعة آلاف سنة، ومملكة (الوقليمي) عند ساحل موزمبيق الرطب الحار، التي زارها المسعودي سنة ٩١٥ كما قامت على الساحل الشرقي لأفريقيا من الصومال إلى تنجانيقا إمارات عربية وأفريقية وصفها جون فيج ورولاند أوليفر في كتابهما (تأريخ أفريقيا)، وفي إقليم حشائش السفانا في غرب أفريقيا (وهو من الأقاليم الحارة) قامت عدة ممالك منها غانا ومالي وسنغاي وكانم زارها الرحالة العرب في القرنين السابع والثامن، وقد وصفها أبن الوزان لأنها احتضنت عدداً من القضاة والأطباء ورجال العلم وأن فيها إقبالاً على الكتب المنسوخة، وتجار الكتب يربحون أكثر من تجار أية سلعة أخرى.(٢٦)

وفي الأمريكتين كان السكان في الشمال والجنوب قليلين وعلى مستوى تقنية قليلة التطور غير أن في الجزء الأوسط من الأمريكتين ظهرت حضارات عديدة ومتقدمة جداً وأكثر تقدماً من الحضارة الأوربية آنذاك في كثير من المجالات ولكن ربما بسبب انعزالها ووجود بعض الثغرات التقنية كانعدام صناعة

حديد وأسلحة نارية وعدم إستعمال العجلة والخيول... الخ، لم تستطع الصمود والإستمرار[٢٧] كحضارة (الأنكا) في الأنديز التي دمرها الأسبان، وحضارة (الأزتك) في المكسيك.

كل ما سبق شواهد تفند الآراء القائلة بأن سكان المناطق الحارة متخلفون بسبب تأثير المناخ، وأن كان علينا أن لا نتجاهل بأن الإنسان مهما أوتي من علم وخبرة تكنولوجية فهو لا يزال عاجزاً أمام بعض المؤثرات الطبيعية التي قد تكون شديدة في موقع وأقل شدة في موقع أخر.[٢٨]

أذن ما هي العوامل التي أدت إلى تقدم عالم الشمال وتخلف عالم الجنوب؟..

أن واقع توزيع الثروة في العالم يعطي (٢٥%) من سكان الأرض (في عالم الشمال) نحو (٧٥%) من ثروتها ودخلها تاركاً الربع الباقي لثلاثة أرباعهم (في عالم الجنوب) فإذا كان الشمال هو عالم القوة والغنى والتقدم والصناعة، فان عالم الجنوب هو عالم الضعف والفقر والتخلف والزراعة أو كما قيل الشمال ((مدينة)) العالم والجنوب ((ريفه))، لذا لا مفر لهذا العالم من تثوير نفسه حتى النخاع كي يرقى إلى متطلبات العصر الذي أصبحت فيه للقوة والتقدم أضلاع ثلاثة هي السياسة والإقتصاد والعلم، فعلى العالم المتخلف التحري عن أسباب ضعفه وتخلفه في هذه الجوانب والسعي للتخلص منها.

فمن الناحية السياسية نجد هناك نقاط ضعف عديدة في عالم الجنوب المتخلف، منها الجيوب الإستعمارية المتخلفة التي من الضروري إستكمال تصفيتها، كالكيان الصهيوني، فلن تقوم للعالم النامي قائمة حقاً، ولن يكون له وزن مذكور في العالم إلا بتصفيتها، كما أن من الضروري تصفية الخلافات الثنائية على الحدود بسبب الأقليات، ومعضمها من أرث الإستعمار، وكذلك القضاء على التجزئة السياسية للوحدات الدستورية بين المجموعات الإقليمية المتجانسة كالوطن العربي وشرق أفريقيا أو غربها والهند الصينية... الخ، ذلك

لان عالم الجنوب وحده يضم السواد الأعظم من عدد دول العالم بينما لا نجد إلا عدد محدود من الوحدات السياسية في عالم الشمال، وهكذا يتنافر الشمال والجنوب في درجة التمزق أو التماسك السياسي كما يتنافران في سائر مظاهر الحياة والنمو. هذا في الوقت الذي لم يعد فيه مكان للدول الصغيرة في عصر يتحول إلى الكتل والإتحادات، ومن ناحية أخرى فأن عالم الجنوب مريض جيوبولتيكيا وأعراض هذا المرض تتمثل في كونه يضم أبشع معقل للدكتاتوريات العسكرية واللاشرعية الإغتصابية نصف المتعلمة أو نصف الجاهلة، كأنما حكم عليه أن يستبدل الإحتلال العسكري الأجنبي القديم بإحتلال عسكري داخلي جديد، ومن المؤسف أن يكون تحت لافتة ((الديمقراطية)) التي يباهي بها أعرق الديمقراطيات في نطاق الشمال بلا حياء وخجل حتى غدا الجنوب أكبر سجن ومعتقل مفتوح لمواطنيه ولا أمل البته في تحرير المواطن من التخلف الحضاري والتكنولوجي إلا بتحريره من هذه العبودية السياسية.. ومنذ تصفية الإستعمار أصبح الجنوب مهد الفاشية والإنقلابات العسكرية الدورية حيث سجلت دول أمريكا اللاتينية وحدها أكثر من ٢٠٠ إنقلاب عسكري منذ الإستقلال في أوائل القرن التاسع عشر، حتى غدا الحكم العسكري وباء الجنوب الذي أصبح في غالبه لا يحكمه خيرة أبنائه ، أن لم يحكمه أحياناً شرهم، الأمر الذي يضاعف من أزمته العالمية ويزيده تخلفاً وضعفاً.(٢٩)

أما من الناحية الاقتصادية فهي الأساس المادي الصلب للقوة السياسية وهي ضرورة بقاء للجنوب ولاسيما بعد النزيف الرهيب للموارد والثروات الذي ترض له في ظل الاستعمار قروناً وأجيالاً فالجنوب هو عالم الفقراء ومتوسط دخل المواطن في معظم دوله واقع تحت خط الفقر الدولي أي في حدود ٣٠٠-٥٠٠ دولار في السنة مقابل عشرة أمثال في الأقل للدول الغنية المتقدمة، ولقد انخفض متوسط الدخل الحقيقي ومستوى المعيشة الفعلي في معظم دول الجنوب المتخلفة نتيجة التضخم العالمي، المرتبط جزئياً بأسعار النفط، فاتسعت الهوة الاقتصادية بينه وبين العوالم الأخرى بدل أن تضيق (الضخم يزداد تضخماً

والصغير يزداد صغراً) ولا حل لهذه الظاهرة إلا في التنمية الذاتية المكثفة والسريعة، ولا بد من حشد كل الموارد الطبيعية والطاقات البشرية للتحرر من التخلف والانطلاق في مدارج التقدم والرفاهية وان يأتي التصنيع في مقدمة الخطوات.(٣٠)

ويصبح القول أن وجود بنية اقتصادية تحتية متينة ووجود قطاع اقتصادي حديث قد يؤلف في اغلب الأحيان ظروفاً ملائمة لتأمين التقدم بيد إن البلدان المختلفة التي تملك هذه المزايا في أعلى درجاتها توجد فيها أيضاً معوقات اجتماعية واقتصادية لسياسات التنمية.(٣١)

ومن زاوية أخرى إن اغلب بلدان الجنوب النامية هي ول منتجة للخامات وذلك بعد إن صرفها الاستعمار السابق عن الصناعات وحرمها من الكفاية الغذائية بتوجيهها غير المتزن إلى الخامات فغدت هذه البلدان محاصرة بين (منتجي المصنوعات) ومنتجي الغذاء، فيحين تتحيز التجارة العالمية تحيزاً صارخاً ومتزايداً للمصنوعات إزاء الخامات ولا جدوى في تصحيح هذا الميزان المختل، إلا بإعادة تركيب إنتاج البلدان النامية بما يكفل استقلالها الاقتصادي وإنهاء تبعيتها الاقتصادية.(٣٢)

أما القروض الأجنبية فقد تكون ((رافعة)) مساعدة إلى نقطة معينة ولكنها قد تستحيل بعدها ((رافعة خافضة)) إذ تتراكم فوائدها بفعالية الربح المركب إلى الحد الذي يكاد ينسخ فاعليتها ويجعلها عقبة لا عتبة إلى التنمية.(٣٣)

أما الجانب الثالث للتقدم الحضاري فهو الجانب العلمي الذي هو المحور الأساسي للقوة المادية والمعنوية وتخلف الجنوب تاريخياً لم يكن في جوهره إلا تخلفاً علمياً، والعلم هو حضارة المستقبل، ومستقبل الجنوب المتخلف رهن بتطوره، ومن هنا اصبح (نقل التكنولوجيا) ضرورة حيوية لا بديل لها ولا غنى عنها، والتكنولوجية ملك لمن يملك ثمنها وليس بالضرورة لمن يملك أسرارها،

وليس ثمة ما يمنع من أن يصبح الجنوب من أقطاب الحضارة والقوة إذا خاض الثورة العلمية.(٣٤)

أن الحضارة المتقدمة قد هاجرت بإنتظام وإطراد من مدار السرطان بإتجاه القطب الشمالي من الدفء إلى البرد، وذلك مع قهر حضارة الإنسان المتزايد للمناخ البارد وهناك من يعتقد بان هذه الحضارة قد وصلت الآن إلى حد القدرة على قهر المناخ الحار وان ليس هناك ما يمنع من أن يعود البندول فيتأرجح بإتجاه عكسي من المناطق الباردة إلى المناطق الحارة ومن العروض الشمالية إلى العروض المدارية وصوب خط الإستواء، بل هناك من يعتقد أن التطورات السياسية والإقتصادية والثقافية التي لحقت بالمداريات إنما هي أرهاصات هذه الحركة الجديدة، كما أنهم قد ثبت أن تكييف المناخ الحار أسهل وأرخص من تدفئة المناخ البارد.(٣٥)

يضاف إلى ما سبق أن هناك ضمن المناطق الحارة أماكن تتمتع بربيع دائم طول العام كالمناطق المرتفعة في المنطقة الاستوائية كهضاب شرق أفريقيا في كل من أوغندا وكينيا ورواندا وبورندى ومرتفعات جنوب شرق آسيا مثل جاوه وسموطره وبورنيو..(٣٦) والأكوادور في أمريكا اللاتينية.

وفي آسيا تعدُ المنطقة الاستوائية والمدارية الحارة أوفر حظاً من نظيراتها في القارات الأخرى لكونها غير معزولة، فهي أما أن تكون في جزر أو أشباه جزر لا تبعد عن البحار المجاورة إلا مسافات قليلة كما يجاورها مناطق مزدحمة بالسكان زحفوا إليها من كل مكان، في حين نجد أن حوض الأمزون وما جاوره من مناطق حشائش بقي بعيداً عن مراكز الحضارة في العالم لعزلته ولصعوبة إتصاله وسكانه من الهنود الحمر دخلوا إليه قديماً عن طريق جبال الأنديز ، إذ منابع نهر الأمزون وظلوا في عزلتهم عن العالم الخارجي وإذا كان هناك إتصال حديث معهم فعن طريق نهر الأمزون والطائرات العمودية وهو

قاصر على تجار الأخشاب وعلماء البيئة والباحثين، وحاولت البرازيل إستثمار هذا الإقليم وأول خطوات هذا الإستثمار بدأت بمد الطرق الحديثة إليه.

وقد تكيف الإنسان لمناخ الأقاليم الحارة وهو غير ذي شأن لنشاطه ودليل على ذلك إستمرارية الإنتاج في كثير من مناطق هذه الأقاليم في الزراعة وإنتاج المعادن، فالرز الذي ينتج في جنوب شرق آسيا يمون مئات الملايين من البشر ونخيل الزيت يجهز معظم سكان أوربا بالزيوت النباتية كما يجهزهم بكميات هائلة من الكاكاو والمطاط ويسهم سكان هذا القليم بنسب عالية من الإنتاج العالمي للمعادن فنحو (٩٠%) من الكروم والكوبلت و (٥٠%) من النحاس والماس والذهب، كما أن (١٥-٣٠%) من البوكسايت والحديد والمنغنيز واليورانيوم يستخرج من المنطقة الحارة في أفريقيا.[٣٧]

وفي الوطن العربي يمكن استثمار المناطق المدارية الحارة في الصحارى، وذلك بعد التقدم العلمي ولاسيما في مجال استخدام الطاقة الشمسية، وذلك لأن الطقس المشمس هو الظاهرة السائدة في المنطقة كما إن العثور على خزين كبير من المياه الجوفية في الصحراء الكبرى في أثناء عمليات التنقيب عن النفط، قدره الجيولوجيون بأكثر من (١٠) مليارات متر مكعب، قد يساعد على استثمار الأراضي الصحراوية مستقبلاً، هذه المياه التي استقرت في جوف الأرض منذ العصر المطير وهي تتجمع في الأحواض تزروقت في الجزائر وموريتانيا وحوض فزان في ليبيا وحوض الصحراء الغربية في مصر والسودان.[٣٨] وقد استثمرت ليبيا هذه المياه بمشروع (النهر العظيم).

ويجب أن يسبق هذا الاستثمار توفير طرق نقل ومواصلات جيدة تربط جميع أجزاء الوطن العربي ولاسيما مناطق الاستثمار الصحراوي.

ومعنى كل هذا أن المستقبل للداريات أو للجنوب والحقيقة أن الجنوب فقير ضعيف متخلف بالواقع لا بالإمكانات بالفعل لا بالقوة، فإمكاناته الضخمة ورصيده المادي شبه بكر، وبينما إقترب عالم الشمال من نقطة التشبع في ميدان

الإستثمار والتنمية لا يزال أمام الجنوب مجال فسيح، ويكفي أن نأخذ من إمكانات التحميل بالسكان مؤشراً على ذلك ، إذ يقدر ماكندر مثلاً أن أفريقيا المدارية وحدها يمكن أن تستوعب في يوم ما مليار نسمة ومثل هذا العدد لأمريكا اللاتينية، فإذا أضفنا إلى ذلك آسيا الموسمية بكتلتها البشرية العارمة، فقد يمكن أن تحمل المداريات أو الجنوب كله يوما ما مقدار ما يحمل هذا الكوكب اليوم من سكان (اكثر من ٦٠٠٠ مليون) ومهما يكن من أمر فلا شك أن الثقل النسبي للجنوب ديمغرافيا سيرتفع بشدة في المستقبل وسيكون هذا جزء من عملية إعادة توزيع الأثقال والأوزان بين القوى العالمية التي بدأت من قبل .(٣٩)

ويرى أنجلو بولس انه في مطلع الألفية الثالثة ستبدأ كل من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بالتحول إلى قوة اقتصادية وسياسية عظيمة وسيكون دورها حاسما، وليس مسيطرا، في المسرح الدولي خلال القرن الحادي والعشرين فان أوربا جميعها وأمريكا الشمالية التي كانت في منتصف القرن العشرين تنتج ٧٨% من الإنتاج العالمي لن تنتج أكثر من ٤٤% عام ٢٠٢٥ ، أما أل ٥٦% الباقية فسيقدم من قبل أسيا بما فيها اليابان وأفريقيا وأمريكا اللاتينية التي لم تكن تنتج سوى ١٥% من الإنتاج العالمي وهكذا سيتم الوصول بالتدريج إلى إعادة التوزيع الثروات تبعا للتوزيع العددي للسكان في مختلف مناطق العالم .(٤٠)

وان مما يدعم الآراء التي تقول آن المستقبل للجنوب هو وجود تشابه جغرافي كبير بين مناطق كثيرة في الشمال مع مناطق أخرى في الجنوب ، وهو ما يطلق عليه ب(النظائر الجغرافية) التي تعني التشابه في المظاهر الطبيعية والبشرية على السواء، وان كان بعض العناصر الطبيعية يترابط تلقائيا كالمناخ والنبات ، وبعظها يترابط بعد ذلك مع الجوانب البشرية بدرجة أو بأخرى عن طريق العلاقات الأيكولوجية بين البيئة والإنسان وذلك دون حتم جغرافي في الوقت نفسه.(٤١)

إنها تتشابه في محتواها طبيعيا وبشريا في الجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والسياسة ..الخ، وان فيها من التشابه والتقارب قدر ما فيها من الاختلاف والتباين، وهو تشابه اكثر من عشوائي عفوي ، وان جاء بعضه كذلك فهو إنما يأتي بالدرجة الأولى من تفاعل ضوابط هادفة وعضوية مباشرة وغير مباشرة ولكنها منطقية التسلسل غالبا إنها إلى حد بعيد أشباه موضوعا مثلما هي نظائر شكلا.[٤٢] ومن هذه النظائر ما نجده بين أمريكا الشمالية والجنوبية وكذلك ما بين آسيا وأوربا .

فما بين أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية كقارة نجد تشابه جغرافي يكاد يكون صورة معكوسة بالمرآة، فبغض النظر عن فارق الحجم فان كلا منهما يتألف جيولوجيا وتضاريسيا من ثلاثة أقاليم وخطوط عريضة تمتد على محاور طولية في الغرب نظام جبلي قوسي التوائي ألبي حديث شاهق الارتفاع (يتمثل في جبال روكي في أمريكا الشمالية وجبال الأنديز في أمريكا الجنوبية) يلتحم ويضيق في طرفيه شمالا وينفرج في الوسط كثيرا ليظم بين دفتيه هضاب حوضيه وسهولا عليا،والساحل خطي منبسط غير مضياف في الوسط ، ولكنه في أقصى الطرفين فيوردي (أي خلجان عميقة تكونت بفعل التعرية الجليدية) مسنن وجليدي قليل الأهمية أما في وسط القارتين نجد سهولة قارية مترامية كثيفة مقعرة حوضيه منخفضة تصرفها نظم نهرية متشعبة بعضها يصب جنوباً وبعضها شمالاً، وأخيراً في الشرق فثمة نظم جبلية قديمة صلبة متوسطة الارتفاع حولتها التعرية إلى كتل وهضاب ممزقة تقريباً تنتهي إلى سهل ساحلي ضيق ذي شاطئ غني بالمصبات الخليجية المدية ألفارقة وعلى هذه الخلفية القاعدية تتناظر انهار القارتين بصورة لافتة، مسارات وأحجاماً وخصائص، ففي جنوب أمريكا الشمالية وشمال أمريكا الجنوبية يتناظر نهر المس يسبي مع نهر اللامزون كما يتناظر نهر ريوكراند مع نهر الأورينوكو، وفي شمال أمريكا الشمالية وجنوب أمريكا الجنوبية يتناظر نهر سنت لورنس مع نهر باراتا – اللابلاتا، وكذلك نجد تناظر للأقاليم المناخية والنباتية والبشرية، فالعمران في كل

من القارتين يتكدس أساسا في الشرق ويقل تدريجياً حتى يتخلخل في الوسط والغرب إلى أن يعود فيتكاثف على الساحل الغربي آو المرتفعات الغربية، وفي هذا الإطار العمراني العام يتناظر أيضا السكان والمدن الضخمة والصناعة وبقية الانتاج، فهو في أمريكا الشمالية يتركز في الربع الشمالي الشرقي يقابله الربع الجنوبي الشرقي في أمريكا الجنوبية، وبالمثل يبدأ توزيع الأجناس تناظراً ملموساً لا تخطأ خلفه ضبط وتأثير الأقاليم المناخية فتناظرها مباشرة، فالربع الجنوبي الشرقي في أمريكا الشمالية هو نطاق الزنوج أساسا يقابله جمهوريات الأغلبية الزنجية في شمال شرق أمريكا الجنوبية، بينما ينتشر الهنود الحمر في الغرب الجبلي بالولايات المتحدة وكندا مقابل جمهوريات الأغلبية الهندية في الشمال الغربي من الأنديز، في حين يبقى الشمال الشرقي والجنوب الشرقي على الترتيب مجالاً للسيادة العددية البيضاء.(٤٣)

أما التشابه بين أوربا واسيا فنجده في التناظر الجغرافي بين القارتين وانعكاسه إلى حد بعيد على التناظر التاريخي، فمن الواضح مثلاً إن القارتين تنتهيا في الجنوب كلاً بثلاثة أشباه جزر جبلية متقابلة، بينما يتناظر البحر المتوسط والمحيط الهندي بالشكل العام والهيئة الطبيعية إلى حد بعيد وعلى الجانبين تأتي اليابان وهي بحق (بريطانياً شرق الأقصى) في اكثر من معنى في حين تناظر الصين وفرنسا بسهولة وفي الوسط يتناظر حوض سهول طوران أو أتركستان في آسيا الوسطى مع سهل المجر في وسط أوربا، ومن الممكن للباحث إن يمضي هكذا بعيداً في استقصاء اوجه التناظر والتشابه بين وحدات القارتين في جغرافيتهما الطبيعية والبشرية، ففي أقصى جنوب شرق آسيا تبدو لنا شبه جزيرة الهند الصينية كالنظير المباشر لشبه جزيرة البلقان في جنوب شرق أوربا، بل إنها لتسمى أحيانا (بلقان الشرق الأقصى) فهنا وهناك بيئة جبلية غابية وعرة، تختطها الأنهار محتوية أحواضا وأودية متقطعة تتعد فيها الأقليات والجيوب والأسافين الجنسية والقومية والدينية، وتتعقد الحدود السياسية، وبالتالي تثور مشكلات الأقليات والحدود المزمنة، فتتفاقم الحروب وتتعاقب بلا

حصر، وكما كانت البلقان (برميل بارود أوربا) في الحرب العالمية الأولى ظلت الهند الصينية بؤرة الحرب في آسيا منذ الحرب العالمية الثانية بلا انقطاع حتى أواخر القرن العشرين.

أما شبه جزيرة الهند فتناظر شبه الجزيرة الإيطالية ولكل منهما كدول وزنه وحجمه الكبير ودوره التاريخي العريق في قارته، كما تعد إيطاليا بصفة تقليدية الدولة الرابعة الكبرى في أوربا الغربية بعد بريطانيا وفرنسا وألمانيا، فان الهند هي رابعة الدول الكبرى في أسيا بعد اليابان والصين والاتحاد السوفيتي.(٤٤)

كما تتناظر شبه الجزيرة العربية مع شبه جزيرة ابريا، وعلى جانبي محور جبال الأورال - القوقاز يتناظر السهل الروسي العظيم مع سهل روسيا الغربية، كما يتناظر على جانبي القوقاز بحر قزوين والبحر الأسود. لكل ما سبق فهناك من يرى ان المستقبل لآسيا قاسياً اليوم تطفر بمعدلات فريدة اقتصادياً وصناعياً وتكنولوجياً وعسكرياً، وإذا كانت قطاعات محدودة منها - كاليابان - هي وحدها التي تقارن بالعالم الغربي المتقدم إن لم تفقه، فأنها في مجموعها تعد على اقل تقدير اكثر قارات العلم المتخلف تقدماً كما لا شك في إنها ثالث قارات العلم كله بعد أمريكا الشمالية وأوربا من حيث الوزن والأهمية ومقاييس القدرة العكسية وتنعكس طفرت أسيا المادية والحضارية هذه في المجالين السياسي والستراتيجي بصورة واضحة منذ انطلاقة اليابان الاقتصادية العارمة وقفزة الصين الكبرى ودول جنوب شرق أسيا فقد شهدت أسيا لهم خطط التنمية والتطور الحضاري والأخذ المتصاعد والتكنولوجيا العصرية بين الدول النامية.(٤٥)

والخلاصة إن المستقبل بآسيا خاصة والجنوب عامة، ولكن على الجنوب أن يدرك بأنه بحاجة إلى اقل من القوة المعنوية واكثر من القوة المادية قدر اقل من الأيديولوجيا واكثر من التكنولوجيا ولكنه أيضا بحاجة إلى قدر اكبر من الإنتاج واقل من الاستهلاك، وقبل هذا وذاك فانه بحاجة إلى قدر اكبر من الاعتماد على الذات، واقل من الاعتماد على الغير وفي جميع الأحوال فانه بحاجة إلى قدر اكبر من الثقة بالنفس، واقل من مركب النقص، وبغير هذا فلا مستقبل له تقريبا.(٤٦)

الهوامش :

1- Ian Rovborough, Theories of Under-development, Hong Kong, The Macmillan Press Itel, 1982, P.i.

2- Paul Streeten, Gaps Between Rich and Poor Countries, Scotish Journal of Political Economy, 1972, No.3, P.213.

٣- د. جمال حمدان: أستراتيجية الإستعمار والتحرير، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣. ص٣٦٣.

٤- أيف لاكوست: العالم الثالث أو جغرافية التخلف، ترجمة عبد الرحمن حميدة. دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت (بدون تأريخ)، ص٣٠.

٥- د. جمال حمدان، مصدر سابق، ص٣٦٤.

٦- أنجلو بولس: العالم الثالث في مواجهة البلاد الغنية تطلعات للعام ٢٠٠٠، ترجمة مصطفى عدنان السيوطي، وزارة الثقافة والأرشاد، دمشق، ١٩٧٥، ص٥٢-٥٣.

٧- أيفان أولاينيك: مجلس التعاضد الإقتصادي، منشورات وكالة نوفوستي، موسكو (بدون تأريخ)، ص٧٤-٨١.

٨- ج. ف. أنستد: عرض جغرافي للعالم من الوجهة البشرية، ترجمة رمزي يسي، سلسلة الألف كتاب ٦٠٤، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦، ص٥٠٥.

9- Peter Hall; Theory and Practice of Regional Planing, P.24.

١٠- د. جمال حمدان، بين أوربا وآسيا دراسة في النظائر الجغرافية، عالم الكتاب، القاهرة (بدون تأريخ)، ص٧١.

11- Peter Hall; P.20-24.

١٢- د. جمال حمدان: المصدر السابق، ص١٤٢.

١٣- د. أحمد نجم الدين وأخرون: الجغرافية البشرية، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩، ص٦٧.

١٤- المصدر السابق نفسه، ص٢٦-٧٠.

١٥- المصدر السابق نفسه، ص٧٠.

١٦- د. جمال حمدان: المصدر السابق، ص٣٢٤.

١٧- ج. ف. أنستد: مصدر سابق، ص٥٥٥-٥٥٨.

١٨- أيف لاكوست: مصدر سابق، ص٣١٢-٣١٥.

١٩- د. محمد عبد الشفيع: أثر الغرب على التطور التكنولوجي للعالم الثالث، مجلة السياسة الدولية، عدد٧٤، أكتوبر ١٩٨٣، ص٣٥.

٢٠- د. جمال حمدان: مصدر سابق، ص١٤٠.

٢١- بول بيروك: هل العالم الثالث في طريق مسدود.. الإنطلاقة الإقتصادية في القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين، ترجمة موريس جلال، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٧، ص١٣٥.

٢٢- د. أحمد نجم الدين وأخرون: الجغرافية البشرية، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩، ص٢٠.

٢٣- أيف لاكوست: العالم الثالث أو جغرافية التخلف، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٩، ص٣١.

٢٤- بول بيروك: مصدر سابق، ص١٣٥-١٣٩.

٢٥- د. أحمد نجم الدين: مصدر سابق، ص٢١-٢٨.

٢٦- ج. ف. أنستد: عرض جغرافي للعالم من الوجهة البشرية، ترجمة رمزي يسي، سلسلة الألف كتاب ٦٠٤، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦، ص٥٧٠-٥٧١.

٢٧- د. أحمد نجم الدين: مصدر سابق، ص٢١-٢٤.

٢٨- بول بيروك: مصدر سابق، ص١٤٥.

٢٩- د. أحمد نجم الدين: مصدر سابق، ص٢٤.

٣٠- د. جمال حمدان: إستراتيجية الإستعمار والتحرير، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣، ص٣٦٥-٣٦٩.

٣١- المصدر السابق نفسه، ص٣٦٩-٣٧٠.

٣٢- أيف لاكوست: مصدر سابق، ص٣١٨.

٣٣- لقد تطورت صيغة التبعية الاقتصادية فمرت بمراحل هي:

المرحلة الأولى: قبل الخمسينيات تخصصت البلدان الغربية الرأسمالية بالصناعة التحويلية مقابل تخصص المستعمرات المتخلفة بالزراعة والاستخراج، وذلك في غمار الثورة الصناعية والاستعمار التقليدي.

المرحلة الثانية: في الخمسينيات والستينيات، تخصصت البلدان الغربية في صناعة السلع الإنتاجية مقابل تخصص بعض بلدان الجنوب في صناعة السلع الاستهلاكية.

المرحلة الثالثة: ما بعد الستينيات تخصصت البلدان الغربية في فروع الصناعة ذات المستوى الأعلى من التطور العلمي والتكنولوجي ولاسيما فروع الإلكترونيات الدقيقة مقابل تخصص بلدان الجنوب في فروع الصناعة ذات المستوى الأدنى نسبياً من التطور العلمي والتكنولوجي كالتجميع والصناعات الإنتاجية الوسيطة كالكيمياويات والحديد والصلب وبناء السفن في الشرق الأقصى وأمريكا اللاتينية والبلدان النفطية.

وهذه الصيغ تكشف لنا حقيقة هي أن الغرب الرأسمالي المتقدم هو العمل الحاكم لعملية التطور وأنه يقف إزاءها موقف (المتغير المستقل) إزاء (المتغير التابع) وبذلك تنشأ صناعة محلية بمعزل عن بناء قدرة علمية تكنولوجية مستقلة، وتبقى هذه القدرة في جميع الأحوال ممركزة ومركزة في العالم الرأسمالي المتقدم.

(د. محمد عبد الشفيع عيسى: أثر الغرب على التطور التكنولوجي للعالم الثالث. مجلة السياسة الدولية، عدد ٧٤، أكتوبر، ١٩٨٣، ص٣٣-٣٦).

٣٤- د. جمال حمدان، استراتيجية الاستعمار والتحرير، مصدر سابق، ص٣٧٠-٣٧١.

٣٥- المصدر السابق نفسه، ص٣٧٢.

36- Dudley Stamp, Applied Geography, Pelica, 960, P.149.

٣٧- د. أحمد نجم الدين ، مصدر سابق، ص٢٧.

٣٨- المصدر السابق نفسه، ص٥٦.

٣٩- د. احمد نجم الدين، ص٥٠-٥١.

٤٠- د. جمال حمدان ، مصدر سابق ص٣٧٢-٣٧٣.

٤١- انجلوس انجاولوس، العالم الثالث في مواجهة البلاد الغنية تطلعات للعام ٢٠٠٠ . ترجمة: مصطفى عدنان السيوطي، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٧٥،ص٢٣٩.

٤٢- د. جمال حمدان، بين اوربا واسيا دراسة في النظائر الجغرافية، عالم الكتب، القاهرة(بدون تاريخ)، ص١٥.

٤٣- المصدر نفسة،ص٩-١٠.

٤٤- د. جمال حمدان ، بين اوربا واسيا ، مصدر سابق، ص١٣-١٥.

٤٥- د. جمال حمدان ، استراتيجية الاستعمار والتحرير، مصدر سابق، ص٣٩٩-٤٠٠.

٤٦- المصدر نفسة، ص٣٩٥-٣٩٧.

المصـــادر :

١- انستد. ج.ف، عرض جغرافي للعالم من الوجهه البشرية، ترجمة رمزي يسي، سلسلة الالف كتاب ٦٠٤، مؤسسة سجل العرب، القاهرة (١٩٦٦).

٢- انجلو بولس، انجلوس، العالم الثالث في مواجهة البلاد الغنيـــة تطلعـــات للعام ٢٠٠٠، ترجمة مصطفى عدنان السيوطي، وزارة الثقافة والارشاد، دمشق (١٩٧٥).

٣- اولاينيك، ايفان، مجلس التعاضد الاقتصادي، منشورات وكالة نوفو ستي، موسكو (بدون تاريخ).

٤- بيروك، بول، هل العالم الثالث في طريق مسدود.. الانطلاقة الاقتصـــادية من القرن الثامن عشر الى القرن العشـــرين، ترجمـــة مـــوريس جـــلال، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق (١٩٧٧).

٥- حمدان، د.جمال، استراتيجية الاستعمار والتحرير، دار الشروق، بيـــروت (١٩٨٣).

٦- حمدان، د.جمال، بين اوربا واسيا دراسة في النظائر الجغرافيـــة، عـــالم الكتب، القاهرة (بدون تاريخ).

٧- عيسى، د.محمد عبد الشفيع، اثر الغرب على التطور التكنولوجي للعـــالم الثالث، مجلة السياسة الدولية، عدد ٧٤، اكتوبر (١٩٨٣).

٨- لاكوست، ايف، العالم الثالث او جغرافية التخلف، ترجمة عبـــد الرحمن حميدة، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيـــروت (بـــدون تاريخ).

9- Hall, Peter, Theory and Practice of Regional Planing.

10- Rovborogh, Ian, Theories of Under - development, Hong Kong, The Macmillan press itel, 1982.

11- Streeten, Paul, Gaps Between Rich and Poor Countries, Scotish Journal of Political Economy, 1972, no.3.